قال وكان على الاسكندريه سبعة حصون وسبعة خنادق قال وكتب عمرو بن العاص
الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه انى فتحت مدينه فيها اثنا عشر الف بقال يبيعون
البقل الاخضر واصبت فيها اربعين الف يهودي عليهم الجزيه وروي ان عبد
العزيز بن مروان بن الحكم لما ولي مصر وبلغه ما كانت الاسكندريه عليه استدعى
مشايخها وقال لهم احب ان اعيد بنا الاسكندريه على ما كانت عليه فاعينوني على ذلك
وانا امدكم بالاموال والرجال فقالوا انظرنا ايها الامير ننظر في ذلك وخرجوا
من عنده واجمعوا على ان حفروا وساقوا بها واخرج منه راس ادمي وحملوه على عجله
الى المدينه فامر بالراس فكسر ووزن ضرس من اضراسه فوجد وزنه عشرين
رطلا على ما به من النخر والقدم فقالوا له جينا بمثل هولا الرجال حتى نعيد عمارتها
على ما كانت عليه قال ويقال ان المعارج التي بالاسكندريه مثل الدرج كانت
مجالس للعلما يجلسون عليها في طبقات تقصر فكان اوضعهم علما الذي يعمل الكيميا من الذهب
والفضه فان مجلسه كان على الدرجه السفلى واما خبر المناره فقد رووا
لها اخبارا هايلة وادعوا لها دعاوى عن الصدق عادله وعن الحق مايله فقالوا
ان ذا القرنين لما اراد بنا الاسكندريه اخذ وزنا من ترب ووزنا من حجاره
ووزنا من اجر ووزنا من حديد ووزنا من نحاس ووزنا من رصاص
ووزنا من قصدير ووزنا من حجارة الصوان ووزنا من فضه ووزنا
من ذهب وكذلك من جميع الاحجار والمعادن وجمع جميع ذلك في البحر حولا
ثم اخرجه فوجده قد تغير كله وحال عن حاله ونقصت اوزانه الا الزجاج
فانه لم يتغير ولم ينقص فامر ان يعمل الاساس منه من الزجاج وعمل على
راس المناره مراة ينظر الناظر فيها في المراة اذا خرجت من افريقيه
ومن القسطنطينيه ومن سائر البلدان لغزو الاسكندريه فاصنع ذلك بالروم
فلم يقدروا على غزوها وكانت فيها حمة تنفع من البرص وجميع الادوا وكان
على الروم ملك فقال له سليم فظهر البرص في جسمه فحمل الروم على خلعه
والاستبدال منه فقال انظروني امضي الى حمة الاسكندريه واعود
فان برئت والا شانكم وما عزمتم عليه فانظروه وكان فعله هذا من اظهار
البرص بجسمه حيلة ومكرا وانما اراد قلع المراة من المناره ليبطل فعلها وسار
اليها في المراكب وكان من شرط هذه الحمة الا يمنع منها احد يريد الاستشفا
بها فلما صار اليها فتحوا ابوابها الشارعة على البحر ودخلها وكانت الحمة
في وسط المدينه بازا المعارج التي يجلس العلما عليها فاستحم فيها اياما ثم ذكر
انه قد عوفي من دايه وذهب ما كان به من بلوايه والداي شرف
هذه الحمه ولما تشفي من الادوا وامر بها فغوثت وامر ان تقلع المراه

٨٦

ففعل وانفذ مرتبا الى افرنجه واخر الى القسطنطينيه وامر من اشرف على المناره
ونظر الى المركبين اذ دخلا القسطنطينيه وافرنجه وخرجا منهما فاعلم انهما لما بعدا
عن الاسكندريه بيسير اغابا عنه فعاد الى بلاده وقد امن غايله المراه وقيل ان اول
من عمر المناره يقال لها دلوكه بنت زبا وسياتي ذكرها ان شا الله في هذا الكتاب في حايط
العجوز وغيره وقيل لم عمرها ملكة من ملكة الروم يقال لها قليبطره وهي التي زعم
بعضهم انها ساقت الخليج الى الاسكندريه حتى جات به الى مدينتها وكان الما لا يصل الا
اليها ويقال لها كليا والاخبار والاحاديث عن مصر والاسكندريه ومنارتها
من باب حدث عن البحر ولا حرج واكثرها باطل وتقاويل لا يقبلها الا جاهل
ولقد دخلت الى الاسكندريه مرتين وطفتها فلم ارى فيها ما يعجب منه الا عمود او عمد
يعرف الان بعمود السواري تجاه باب من ابوابها يعرف بباب الشجره
فانه عظيم جدا هايل كانه المناره العظيمه وهو قطعة واحدة مدور منتصب
على حجر عظيم كالبيت المربع قطعة واحدة ايضا وعلى راس العمود اخر مثل
الذي في اسفله فهذا يعجز اهل زماننا عن معالجة مثله في قطعه من قطعه
وجلبه من موضعه ثم نصبه على ذلك الحجر ورفع الاخر الى العلاه ولو اجتمع عليه
اهل الاسكندريه باجمعهم فهو يدل على شدة مامليه وحكمة منصبه وعظم همة
الامريه وحدثني الوزير الجليل الصاحب العالم جمال الدين القاضي الاكرم ابو
الحسن علي بن يوسف بن ابرهيم الشيباني القفطي ادام الله ايامه شرو وقفت على مثل
ما حكاه سوا في بعض الكتب وهو كتاب ابن الفقيه وغيره انه شاهد في جبل بارض
اسوان عمودا قد نقر وهندم في موضعه من الجبل طوله ودوره ولونه مثل هذا العمود
المذكور كانت المنيه عاجلت الملك الذي امر بعمله فبقي على حاله قال احمد بن محمد الهمذاني
وكانوا ينحتون السواري من جبال اسوان وبينها وبين الاسكندريه مسيرة
شهر للبدو ويحملونها على خشب الاطواف في النيل وهو خشب يركب بعضه
الى بعض ويحمل الاعمده وغيرها عليه واما منارة الاسكندريه فقد قال ما
اكثروا في وصفها ومبالغتهم في عظم وتهويلهم في امرها وكل ذلك كذب لا يستحي
حاكيه والا يرات اسه راويه ولقد شاهدتها في جماعة من العقلا وكل منا عاد
متعجبا من غرض الرواه وذلك انها هي بنيه مربعه شبيهة بالحصن وبالصومعه
مثل ساير الابنيه ولقد رايت ركنا من اركانها وقد تهدم فرممه الطبنه الملك
الصالح رزيك او غيره من وزرا المصريين واستعمل نجارا احكم واتقن واحسن
من الذي كان قبله وهو ظاهر فيه كالشامه لان نجارة هذا المسجد احكم
واعظم من التدبير واحسن وضعا ورصفا وما صفتها التي شاهدتها فانها
حصن عال على سن جبل مشرف في البحر الملح وبلغني انه خاض من احد

Copyright © King Saud University